سلسلة الدراسات العُمانية (٦)

الخليل بن أحمد الفراهيديّ

أوراق الندوة الدولية التي نظمتها وحدة الدراسات العُمانية في جامعة آل البيت بالتعاون مع

سفارة سلطنة عُمان في المملكة الأردنية الهاشمية

بتاريخ: ٢٧-٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ/٢٣-٢٥ تموز ٢٠٠٦)

إعداد وتحرير

د. سعيد جبر أبو خضر
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة آل البيت

د. محمد محمود الدروبي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة آل البيت

المجلـــــد الثاني

منشورات جامعة آل البيت
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

جهود الخليل بن أحمد في صناعة المصطلحات النحوية

أ.د. عوض بن حمد القوزي
جامعة الملك سعود – السعودية

جهود الخليل بن أحمد في صناعة المصطلحات النحوية

أ.د. عوض بن حمد القوزي

المقدمة:

لم تر العربية عبقريا كالخليل، وهو قول لا ينكره أحد، فقد انعقدت آراء الدارسين العرب والمستعربين على سموّ قامته العلمية، وسبقه إلى اختراعات متنوعة، فهو الذي استنبط المقاييس الموسيقية التي أخضع لها الشعر العربي في بحوره وأوزانه، وهو أول من حصر ألفاظ العربية وحدد المستعمل منها والمهمل في كتابه "العين" وكانت اللغة العربية شغله الشاغل، وسلوته في الحضور والخلوة، وقد ترجم انشغاله هذا إلى أفعال، فإلى جانب "العين" وما تطلبه من جهد فكري غير عادي، لم يغب عنه أن يحصر حروف المعجم، فكان أول من نظمها في بيت واحد هو قوله[1]:

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمِثْلِ الشَّمْسِ إذْ بَزَغَتْ يَحْظَى الضَّجِيعُ بِهَا نَجْلاءُ مِعْطَارُ

وهو الذي وضع رموز الشكل المعروفة لضبط الكتابة العربية بالحركات التي نعرفها اليوم، فقد روى أبو الحسن بن كيسان عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: "الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف، فالضمة واوٌ صغيرة الصورة في أعلى الحرف؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف"[2]، وقال أبو عمرو الداني: "أول من صنّف النقط ورسمه في كتاب، وذكر علله الخليل بن أحمد، ثم صنف ذلك بعده جماعة من النحويين والمقرئين، وسلكوا فيه طريقه، واتبعوا سننه، واقتدوا بمذاهبه"[3] ومفهوم النقط هنا الشكل بالحركات إلى جانب نقط الحروف بنقط الإعجام، وعامة اللفظ عند الداني لا يفرق بين الحركة ونقط الحرف في مسمى النقط، إلا أنه يفرق بينهما بلون الحبر المستخدم في الإعجام والشكل[4]. وهو الذي استنبط من علم النحو ما لم يسبق إليه، فإذا ما ذكر النحو ذكر سيبويه، وما أن يذكر سيبويه حتى يقفز اسم الخليل إلى الذاكرة، وما ذلك إلا لتأثر سيبويه بالخليل،

حتى إن عامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلما قال سيبويه: "سألته"، أو قال: "قال"، من غير أن يذكر القائل، فهو الخليل بن أحمد[٥]، وقد صدق سفيان الثوري عندما قال:" من أحبَّ أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك، فلينظر إلى الخليل بن أحمد"[٦] لكثرة عبادته وصلاحه، وزهده وغزارة علمه، وحسن أدبه، وفضله على العربية وأهلها، لقد كان رحمه الله تعالى الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليله[٧].

وليس المقام هنا مقام ترجمة للخليل؛ لأن بحوثاً أخرى ستنهض بذلك، وبالرغم من هذا فإن الحديث وإن كان علمياً يأبى أبو عبد الرحمن إلا أن يستأثر به، ويصرفه لحسابه، لما له من سيطرة قوية على الفكر العربي واللغوي منه على وجه الخصوص، ولأنه مؤسس لكثير من العلوم، فلا غرابة أن يجد المرء نفسه منقادة للوقوف على نشاط هذا الرجل، الذي أفنى حياته في البحث والتنقيب، ليصيب علماً لم يؤت غيرُه مثله، فحيثما تبحث في علم العربية ستجد الخليل ماثلاً أمامك يعلن أنه السباق إلى ما أنت فيه؛ ومن أجل ذلك فيكفي أن تقتصر هذه الورقة على جهوده في (حركات الإعراب ووجوهه) وما أصابها على يديه من استقرار حتى يوم الناس هذا. ومرجعنا في ذلك كتاب سيبويه، ذلك الكتاب الذي يعد الشاهد الأول على جهد الخليل في التأسيس الحقيقي لعلم النحو العربي[٨]. فعن كتابه يقول المازني:" ما أخلو في كل زمن من أعجوبة في كتاب سيبويه"[٩] ووصفه ياقوت بأنه "لم يشذ عنه من أصول فنّه شيء"[١٠] ومن عجائب هذا الكتاب ما اشتمل عليه من فكر للخليل فقد كان سيبويه يستزيده علماً، ويحرص على الأخذ عنه والطلب بين يديه، فهو يسأله عن الأحكام والعلل والقياس، وإليك أنموذجاً لبعض الدروس التي تلقاها سيبويه عن أستاذه الخليل:

عقد سيبويه باباً بعنوان: "هذا باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد"[١١] . قال: "قال الخليل يوماً- وسأل أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (ذَلِكَ) والكاف التي في (مَالِكِ) والباء التي في (ضَرَبَ)؟ فقيل له:" نقول: باءٌ، كافٌ، فقال: "إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال أقول: (كَهْ)، (وبَهْ)، فقلنا:

لم ألحقت بالهاء؟ فقال: رأيتهم قالوا: (عِهْ) فألحقوا هاء حتى صيروها يستطاع الكلام بها، لأنه لا يلفظ بحرف، فإن وصلْتَ قلت: (كَ)، و(بَ) فاعلم يا فتى، كما قالوا: عِ يا فتىَ فهذه طريقة كل حرف كان متحركاً..." وهكذا يمضي سيبويه وزملاؤه في السؤال، ويأخذ الخليل في التفسير والاستشهاد في مشهد يعكس طبيعة الدرس النحوي في مدرسة الخليل. والخليل -رحمه الله- يفرق هنا بين الحرف صوتاً واسم ذلك الحرف، ومثل هذا اللون من الأداء لا يكاد يعرف قبل الخليل، فعدّ بحقّ مؤسس علم الأصوات في العربية.

وإذا كان "نقط الحرف" بدأ على يد أبي الأسود الدؤلي، علاجاً للحن الذي فشا عند قراءة بعض الحروف في القرآن، وأنّ نقط الإعجام" ظهر على يد تلميذه نصر بن عاصم، علاجاً لقضية التصحيف التي وقع فيها كثير من الناس، لا سيما أولئك الذين دخلوا في الإسلام، ورغبوا في العربية، فخانتهم السليقة، واضطروا لالتماس الحلّ عند ذوي الفهم والابتكار، فإذا كانت هاتان الخطوتان الموفقتان عالجتا قضيتين هامتين متصلتين بقراءة القرآن الكريم هما اتقاء اللحن والتصحيف، فإن العمل الذي مارسه الخليل بن أحمد في هذا الصدد يعد نقلة فكرية تطورية قُدّت على غير قياس، فقد استعاض الشكل بالنقط للدلالة على حركات الإعراب، حيث استعمل الشكل بصور تدل على الحركة الصوتية للحرف، فالفتحة من الألف، والضمة من الواو، والكسرة من الياء[١٢].

ونظر الخليل إلى الكلمة نظرة شمولية لأولها ووسطها وآخرها، ولم يقصر اهتمامه على حرف دون آخر، بل ضبط حروف الكلمة كلّها، وكانت الحركات ووجوه الإعراب عنده كما يأتي[١٣]:

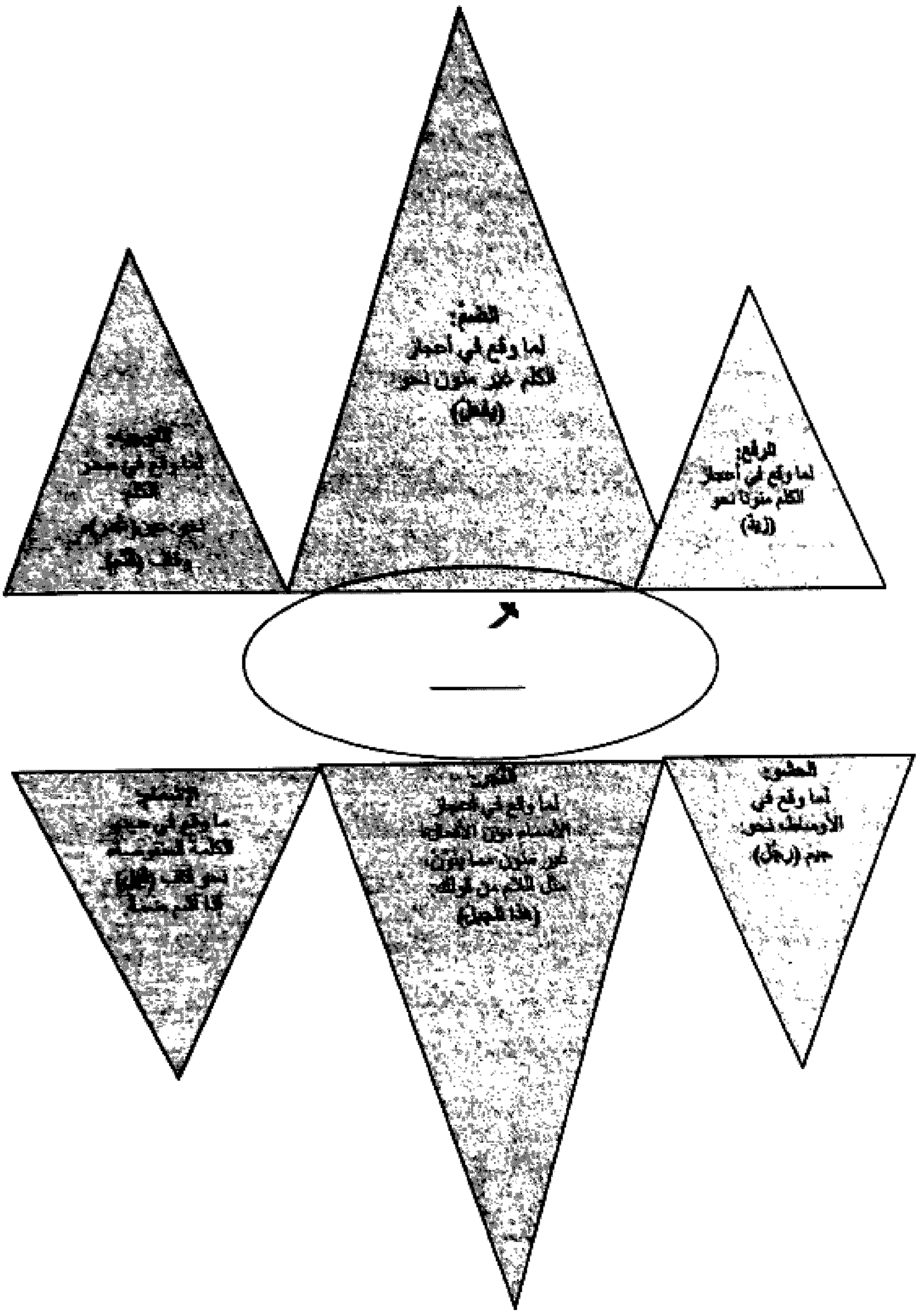
الفعل:
لما وقع في أصيل
الكلام غير مئون لغيره
(الفعل)
الحرف:
لما وقع في أصيل
الكلام غير مئون لغيره
(الحرف)
الاسم:
لما وقع في أصيل
الكلام غير مئون لغيره
(الاسم)
الحرف:
لما وقع في أصيل
الكلام مئون لغيره
(الحرف)
الفعل:
لما وقع في أصيل
الكلام مئون لغيره
(الفعل)
الاسم:
لما وقع في أصيل
الكلام مئون لغيره
(الاسم)

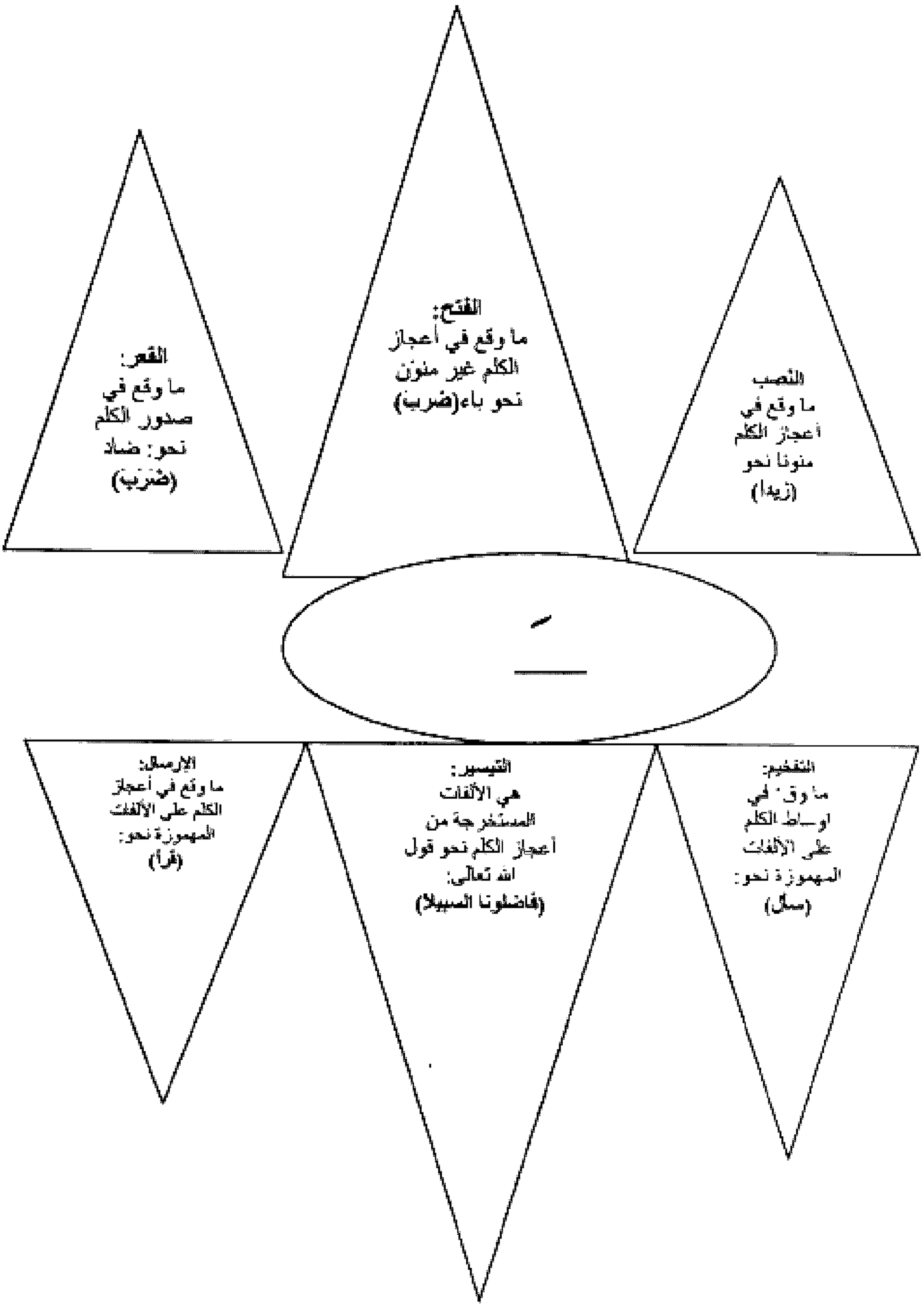
الفتح:
ما وقع في أعجاز الكلم غير منون نحو باء(ضرب)
الضم:
ما وقع في صدور الكلم نحو: ضاد (ضرب)
النصب
ما وقع في أعجاز الكلم منونا نحو (زيدا)
التفخيم:
ما وق" في اوـاط الكلم على الألفات المهموزة نحو: (سأل)
التيسير:
هي الألفات المستخرجة من أعجاز الكلم نحو قول الله تعالى:
(فأضلونا السبيلا)
الإرسال:
ما وقع في أعجاز الكلم على الألفات المهموزة نحو:
(قرأ)

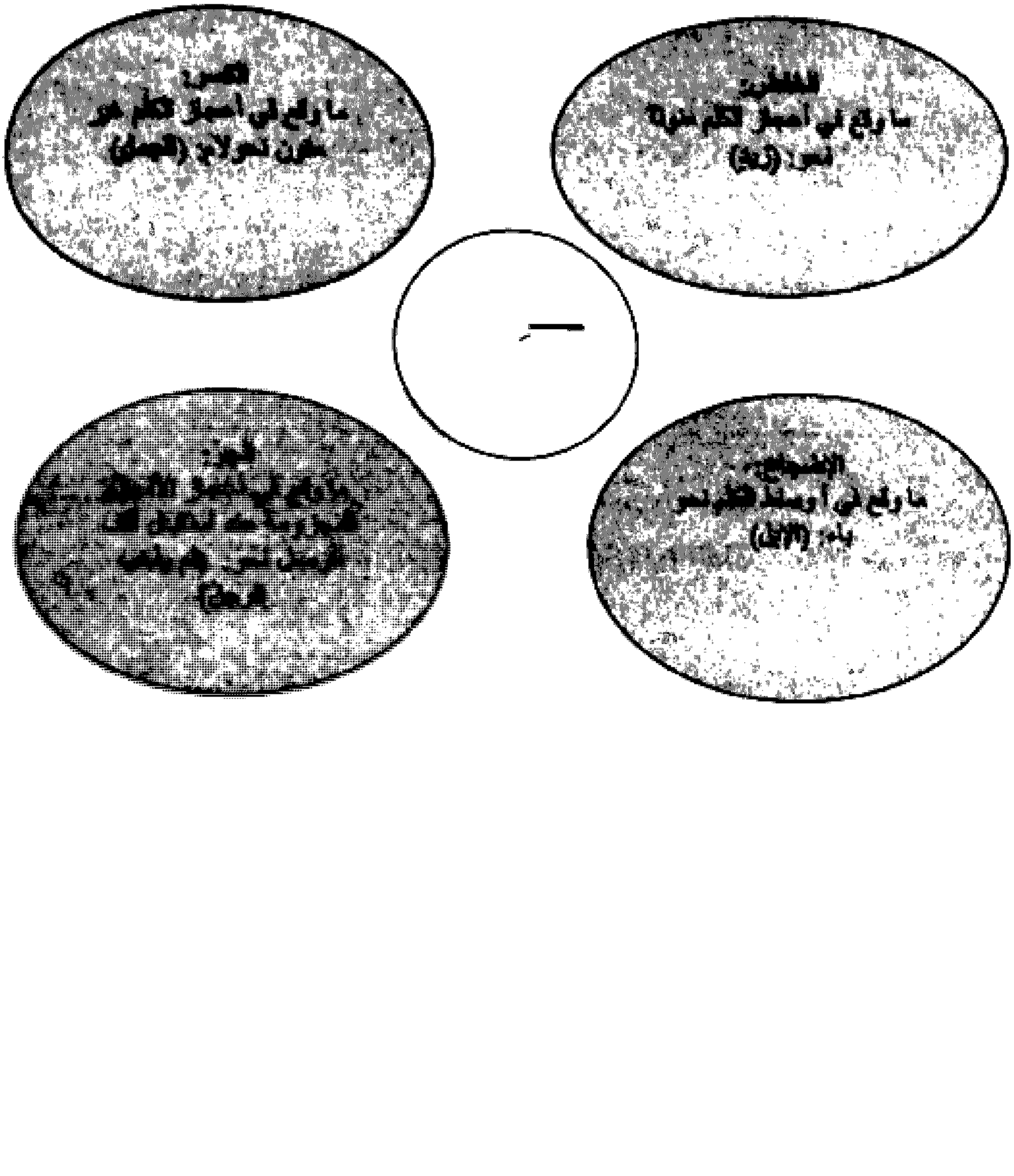
المصدر
ما وقع في أصل الكلام مفردة
غير (غ ي ر)
المصدر
ما وقع في أصل الكلام مفردة
من نحو لا (العمل)
الفعل
ما وقع في أوسط الكلام
يقوم (ق و م)
الحرف
ما وقع في أوسط الكلام
بل: (ب ل)

الجزم:
ما وقع في أواخر الأفعال المجزومة نحو:
يا: (اضرب).

المبتدأ
ما وقع في أول الاسم نحو: (زيد).

٥

التركيب:
ما وقع في أعجاز الأدوات نحو: من، (قد).

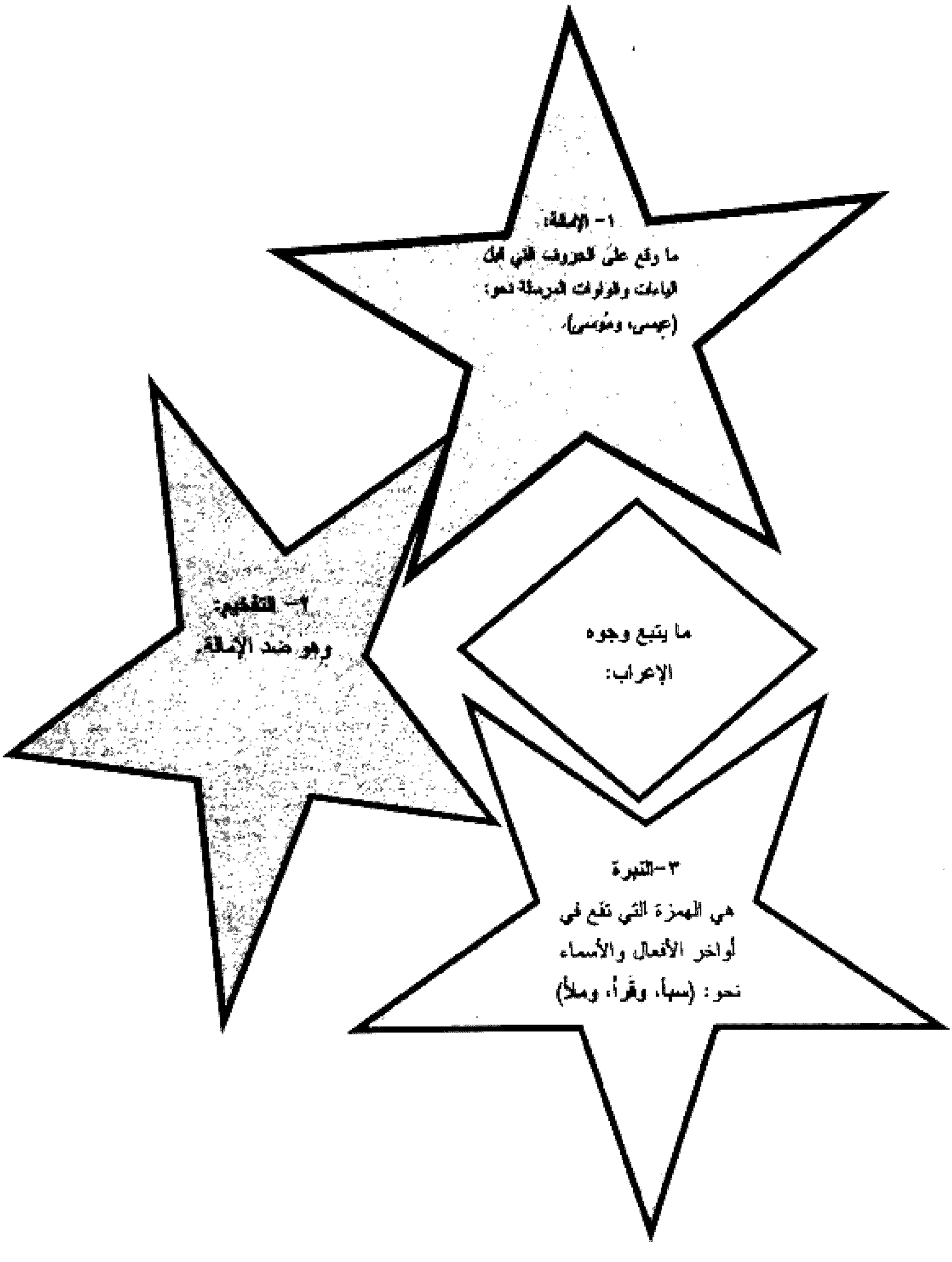
١- الإمالة:
ما وقع على الحروف التي ليست
بالمائة والواوات المرسومة نحو:
(عيسى، وموسى).
ما يتبع وجوه
الإعراب:
٢- التفخيم:
وهو ضد الإمالة.
٣-النبرة
هي الهمزة التي تقع في
أواخر الأفعال والأسماء
نحو: (سها، وقرأ، وملأ)

التضعيف:
وعلامته: سكون فقط لكن الصوت يتبعه حركة تجعل غير المشدد يبدو ركائه مشددا نحو:(عَيْهَلٌ، جَدَثًا، فَرَجٌ)

الإشمام:
وعلامته: سكون فوقه نقطة هكذا: (خَلَفْ، فُرَجٌ)

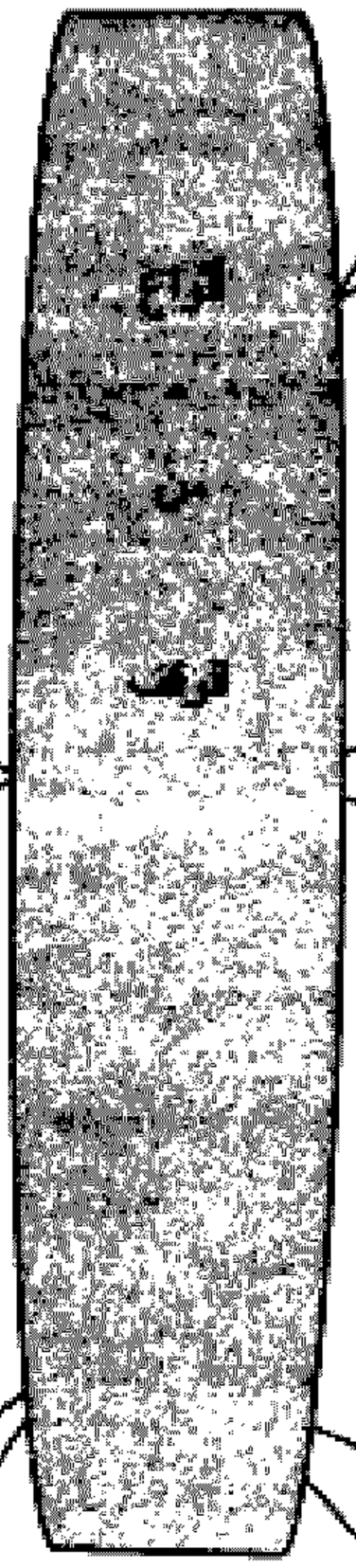

الروم:
وعلامته: سكون فوقه فتحة هكذا: (مَخْلَفْ، يَجْعَلْ)

ما جرى مجرى الإسكان والجزم:
وعلامته: سكون فوقه (خ) هكذا:(مَخْلَفْ، خالَفْ)

الوقف بزيادة الهاء:
وهي زيادة تشبه هاء السكت نحو: (أبيضَهْ في أبيضْ)، و(هَنَهْ في هَنَا).

الوقف بالنقل:
تحريك الساكن الذي يقع قبل آخر الحروف وقفا نحو: (هذا بَكْرْ، ومِنْ بَكْرْ)

وبالرغم من دقة نصر بن عاصم (ت٨٩هـ/٧٠٧م) في ترتيب حروف العربية، ذلك الترتيب الذي انتهى فيه إلى جمع الحروف المتشابهة، فألحق كلّ أخ بأخيه، ثم وضع نقط الإعجام في ترتيب بديع أفراداً وأزواجاً أو ثلاثا، فوق الحرف أو تحته تجنباً للبس[١٤].

بالرغم من ذلك الجهد الخارق الذي بذله نصر في ترتيب الحروف إلا أن الخليل -رحمه الله- لم يسلّم به، فابتدع ترتيباً جديداً بناه على مخارج الحروف بدأ بحروف الحلق - والعين أولها- فحروف الحنك، ثم الأضراس، ثم الشفة، وجعل حروف العلة آخراً وهي الحروف الهوائية[١٥] وهو ترتيب فتح الأفق للغويين بعده لينازعوه الترتيب في المخارج[١٦]. فجاء سيبويه بترتيب خالف فيه أستاذه في بعض المخارج، ونقل حروفاً من المكان الذي وضعها فيه الخليل إلى أماكن أخرى وجعل عدة المخارج ستة عشر، ورتبها على غير ما رتبها عليه الخليل، وهو وإن تابع الخليل في عدد الحروف العربية وأنها تسعة وعشرون حرفاً، فإنه قال: " وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها ويستحسن في قراءة القرآن والأشعار... وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر... وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون.." [١٧]. ثم إن ترتيب معجم العين على النهج الذي اختطه الخليل على غير قياس، جعل المهتمين بالتأليف المعجمي يتقصون صعوباته فيتتكبونها، ويسهّلون الوصول إليها معلنين اعترافهم بسبقه وفضله، معتذرين بما أصاب الناس بعد عصر الخليل من نقص في الفهم، وعجز عن إدراك مقاصده ومراميه، يقول ابن دريد (ت٣٢١هـ) وهو يقدم "جمهرة اللغة": "وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي رضوان الله عليه، كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلّب معترف، والمعاند متكلّف، وكل من بعده له تَبَعٌ، أقرّ بذلك أم جَحَدَ، ولكنه - رحمه الله- ألّف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه، وذكاء فطنته، وحدة أذهان أهل دهره"[١٨].

وإذا عدنا للحديث عن جهود الخليل في صناعة المصطلحات النحويـــة فإنـــا نواجه صعوبة بالغة أدركها كثير من الباحثين المعاصرين الذين تعرضـــوا لكتـــاب سيبويه بشيء من الدرس والتمحيص[١٩] وذلك بسبب ضياع كثيـــر مـــن الجهـــود المبذولة في التراث النحوي من عهد أبي الأسود الدؤلي حتى عصر الخليل، الأمر الذي جعل القطع بنسبة هذا المصطلح أو ذاك للخليل أو لغيره صعباً، إذ لا يبعد أن يروي سيبويه اصطلاحاً عن الخليل، يكون الخليل نفسه قد لقفه من أساتيذه، ولـــيس من اختراعاته، لكن عدم وجود دليل على ذلك، ولما عرف عن الخليل من الـــذكاء الخارق والقدرة على الاختراع والاستنباط والتعليل[٢٠]. لكل هذا فليس أمام الباحث بدّ من نسبة المصطلحات المروية عن الخليل إليه حتى يقوم الدليل على غير ذلـــك، بالرغم من وجود شيء من شعور الاطمئنان بأن النحو لم يتخذ اصطلاحاته العلمية إلا على يدي الخليل، وأنه أسسه على قواعد وأصول ثابتة، واســـتحق أن يوصـــف بأنه "المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي الذي وضعه سيبويه في كتابه بعد أن تلقاه عنه وتعلمه عليه"[٢١].

وعند استعراض المصطلحات المنسوبة للخليل تبرز أمام الباحث ملاحظـــة جديرة بالاهتمام، أعني عدم استقرار المصطلح النحوي في هذه المرحلة، وقد نبّـــه على ذلك كثير من الباحثين المحدثين[٢٢].

ففي الوقت الذي نقرأ لسيبويه ما يفيد التفريق بين النون والتنوين مـــن مثـــل قوله:"واعلم أن العرب يستخفون فيحذفون النون والتنوين، ولا يتغير مـــن المعنـــى شيء، وينجرّ المفعول لكف التنوين من الاسم فصار عمله فيه الجرّ، ودخـــل فـــي الاسم معاقباً للتنوين"[٢٣]. لا تلبث أن تتراجع عندما تراه يعود فيلبس الأمر عليـــك بتسمية التنوين نوناً وذلك في مثل قوله:"تقول: هذا ضاربٌ عبدَ الله وزيداً يمرّ بـــه، إن حملته على المنصوب، فإن حملته على المبتدأ وهو (هذا) رفعـــت، وإن ألقيـــت النون تريد معناها فهو بتلك المنزلة"[٢٤] فسيبويه يسمي التنوين نوناً مع علمه بـــأن النون أقوى من التنوين، وأن العرب لم يُجروا عليها ما أجروا علـــى التنـــوين[٢٥]، وما علل له بدقة من عدم جزم الأسماء إذا جُعل لحاق التنوين بهـــا ســـبباً قويـــاً،

حيث يقول: "فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة[٢٦]. إن هذا التعاقب بين النون والتنوين في الدلالة على مصطلح واحد عند سيبويه دليل أكيد على أن هذا المصطلح ككثير من المصطلحات لم يتخذ شكله النهائي واستقراره الحقيقي، وهو ما أسميه بالتردد بعيداً عن وصفه بالمشترك أو المترادف[٢٧]. وما ذلك التردد في استعمال أحد المصطلحين مكان الآخر إلا للعلاقة الكبيرة بين النون والتنوين، فهو عبرّ عن التنوين بالنون والدراسة الصوتية تؤيده، إذ إن التنوين نون ساكنة زائدة تلحق حركة آخر الكلمة[٢٨]، لكن ذلك لم يطرد في الكتاب، فكثيراً ما نراه يعبر عن كل منهما باصطلاحه الخاص، روى ابن جني عن ابن سلام: "قال سيبويه: كان عيسى بن عمر يقرأ: ﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾[سورة التوبة، الآية ١٠٩]"، قلت: على أي شيء نَوَّنَ؟ قال: لا أدري، ولا أعرفه، قلت: فهل نَوَّنَ أحدٌ غيره؟ قال: لا[٢٩].

هذا الأسلوب عند سيبويه فتح الباب أمام القراء، ليسمي التنوين نوناً أيضاً، يقول: "سمعت كثيراً من القراء الفصحاء يقرؤون: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [سورة الإخلاص الآيتان ٢، ١] فيحذفون النون من (أحد)[٣٠]، ولكنه يسميه تنويناً أيضاً في مكان آخر[٣١]، وهو وإن حاكى سيبويه بفعله هذا، فلربما كان يرمي إلى مخالفة المصطلحات البصرية عامة، شأنه في ذلك شأن علماء الكوفة الذين كانوا يقصدون إلى المخالفة قصداً، حتى لو وسعتهم الموافقة[٣٢].

ولما كان اصطلاح التنوين معروفاً عند تلاميذ أبي الأسود[٣٣]، فإن فضل الخليل ليس في الابتكار، ولكن فضله كبير في تثبيت هذا المصطلح، والتمييز بينه وبين الغنة، ثم بينه وبين النون، وتفصيل القول في حالات وروده حتى إنه ليصبح عنده علماً على الأسماء، فهذه أسماء منونة[٣٤]. وتلك أسماء غير منونة[٣٥]، وأخيراً يستقر كإحدى العلامات الدالة على الأسماء في حال التنكير- وإن كان برجشتراسر يرى أنه ربما كان التنوين في الأصل علامة للتعريف؛ لأن أصله هو (التمييم)، وللتمييم آثار من معنى التعريف في الأكدية العتيقة[٣٦].

ومما يتصل بحركات الحروف أصوات وضع الخليل اصطلاحاتها هي :

الإمالة: وهذا الاصطلاح جعله الخليل لذلك الصوت الذي يقع على الحروف التي تسبق الياءات أو الواوات المرسلة، نحو عِيْنِي، ومُوْنِسَي، وجعل ضدَّه التفخيم[٣٧]. كما أن الخليل يسمي الإمالة أيضاً (الإجناح)، قال سيبويه:" زعم الخليل أن إجناح الألف أخفّ عليهم، يعني الإمالة.."[٣٨]. وقال: "..ومما لا يميلون ألفه (حتىّ، وأمّا، وإلاّ)، فرّقوا بينها وبين ألفات الأسماء نحو:"حُبْلَى، وعَطْشَى، وقال الخليل: لو سميت رجلاً بها وامرأة جازت فيها الإمالة"[٣٩]، فالإمالة عند الخليل مرادفة للإجناح، وكلاهما لمعناه من لفظه نصيب، ولكن الذي استقر عند سيبويه ومن جاء بعده هو اصطلاح "الإمالة" وفصّل في ذلك كثيراً، فبيّن إمالة الألف[٤٠]، وما يُمنع من الإمالة من الألفات[٤١] وما يمال من الحروف التي ليس بعدها ألف[٤٢]، كما بين أحكام حروف المعجم في الإمالة[٤٣]. ونظراً لصلة الإمالة بالكسر، فقد عبّر بعض النحويين عن الإمالة بالكسر، كما سماها بعضهم **بالإضجاع**[٤٤]، وجعل الخليل الإضجاع لما وقع في أوساط الكلم نحو باء (الإبِل)[٤٥].

١- **الرَّوم**: وهو الإشارة للحركة بصوت خفي، وروم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً، ألا ترى تفصل به بين المذكر والمؤنث في قولك في الوقف: (أنتَ، وأنتْ)، فلولا أن هناك صوتاً لما وجدت فصلاً بينهما[٤٦].

٢- **الإشمام**: وهو ضم الشفتين بعد تسكين الحرف الأخير في الوقف على المضموم وهو للعين دون الأذن، وقد جعله الخليل لما وقع في صدور الكلم المنقوصة نحو قاف (قِيْل) إذا أشم ضمة، وعليه النحاة في مثل هذا الحرف، قال ابن مالك:

واكْسِرْ أو اشْمِمْ قَا ثُلاثِي أُعِلْ عَيْناً، وضَمَّ جَا كـ"بُوعٍ"فَاحْتَمِلْ

وقد قرئ في السبعة قول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ﴾[سورة هود، الآية٤٤] - بالإشمام في (قِيل، وغِيض) [٤٧].

٣- **التضعيف**: وهو عند الخليل أن تقف على حرف لا يكون الذي بعده إلا متحركاً، لأنه لا يلتقي ساكنان نحو قولك..... "هذا خالدْ، و"هو يجعلْ" تقف على الدال واللام،

وقد عقد سيبويه باباً سماه "باب الوقف في آخر الكلمة المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف" وخص المرفوع والمضموم بأن يوقف عنده على أربعة أوجه: "**بالإشمام**، إذا أرادوا أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل، وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال... فإن راموا الحركة فإنه دعاهم إلى ذلك الحرصُ على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال... وأما الذين **ضاعفوا** فهم أشدّ توكيداً، أرادوا أن يجيئوا بحرف لا يكون الذي بعده إلا متحركاً، فهو أشدّ مبالغة وأجمع، وقد جعل سيبويه لهذه الأنواع من الوقف علامات، فللإشمام نقطة، وللحرف الذي أجري مجرى الجزم والإسكان الخاء، ولروم الحركة خط بين يدي الحرف، وللتضعيف الشين هكذا: **فالإشمام**: قولك: هذا خالدْ، وهذا فرجْ، وهو يجعلْ. **والذي أجرى مجري الإسكان والجزم**: قولك: مَخلَدْ، وخالدْ، وهو يجعلْ. **وأما الذين راموا الحركة فهم الذين قالوا**: هو عُمَرُ، وهذا أحمدُ. كأنه يريد رفع لسانه. قال سيبويه: "حدّثنا بذلك عن العرب الخليل وأبو الخطاب، وحدثنا الخليل عن العرب أيضاً بغير الإشمام وإجراء الساكن"[٤٨].

ويظهر فضل (**التضعيف**) في قوافي الشعر عندما قالت العرب (سَبْسَبًا) و(عَيْهَلٌ) وهم يريدون (السبْسَبَ) و(العَيهلُ) لأن **التضعيف** لما كان في كلامهم في الوقف، أتبعوه الياء في الوصل، والواوَ على ذلك، كما يلحقون الواو والياء في القوافي فيما لا يدخله ياءٌ ولا واو في الكلام وأجروا الألف مجراهما؛ لأنهما شريكتهما في القوافي، ويمدّ بها في غير موضع التنوين" قال الشاعر:

بَبازِلٍ وجُنَّاءَ أو عَيْهَلٍ

فشدد اللام في الوصل ضرورة، لأنه حرف متحرك أصلا. ومثل ذلك قول رؤبة:

لَقَدْ خَشِيتُ أن أرَى جَدَبًّا
في عَامِنَا ذَا بَعْدَ مَا أخْصَبَّا

يريد: جَدْبًا، فشدد الباء وحرك الدال بحركة الباء قبل التشديد، لالتقاء الساكنين، ومثله "أخْصَبَّا" حين شدد الباء ضرورة[٤٩].

إلا أن **التضعيف** لا يدخل الكلمة التي يكون الحرف الذي قبل آخرها ساكناً نحو (عَمْرو)، و(زَيْد)، وعلة ذلك أن الذي قبله لا يكون ما بعده ساكناً، فيجتمع ساكنان، بخلاف مثل (خالِدْ، وفَرَجْ)، وأشار سيبويه أن العرب قد تدع الإشمام ورَوم الحركة أيضاً كما فعلوا بالوقوف على الدال في (خالدْ) (٥٠).

وهناك الوقف **بزيادة الهاء**، ولعلها للسكت؛ ليكون الحرف أكثر وضوحاً وبياناً، قال سيبويه: "حدثني من أثق به أنه سمع عربياً يقول:" أعْطِني أبْيَضَهْ، يريد (أبْيَض) وألحق الهاء، كما ألحقها في (هُنَّهْ) وهو يريد: (هُنَا)" (٥١).

ثم الوقف **بالنقل**، وهو تحريك الحرف الساكن الذي يقع قبل آخر الحروف وقفاً؛ كراهة التقاء الساكنين، نقل سيبويه عن العرب قولهم: (هَذا بَكْرْ) و(مِنْ بَكِرْ)، واستشهد بقول الشاعر:

أنَا ابنُ مَاوِيَّةَ إذْ جَدَّ النَّقُرْ

فألقى حركة الراء على القاف للوقف، ونقل عنهم قولهم: هذا عدلْ وفسلْ"(٥٢). وهناك أصوات تلحظ عند الوقف غير ما تقدم، كالوقف عند حروف **القلقلة**، كما أن الوقف على بعض الحروف لا تسمع معه نفخاً ولا صفيراً كالوقف على اللام والنون.

وللوقف **بالإدغام والهمز وحروف اللين** أحكام كثيرة نقلها سيبويه ووثقها إما عن العرب مباشرة أو لقفها من شيوخه وفي مقدمتهم الخليل رحمهم الله جميعاً(٥٣)، ولولا خوف الإملال والإطالة لنقلت ما جاء في هذه الأبواب من أقوال الخليل وسيبويه.

وبعد: فهذه وقفة عجلى عند بعض المصطلحات التي وضعها الخليل بن أحمد- رحمه الله - لحركات الحروف، لم يقصرها على حروف الإعراب- كما هو الحال عند أبي الأسود- ولم يخصها بالمعرب دون المبني، أو الفعل دون الاسم والحرف، بل جعلها شاملة أنواع الكلم، وحروف الكلمة أولها ووسطها وآخرها، وأشار إلى ما يعتري تلك الحركات من تغيير عند الوقف، فضبط اللغة، وأمن جانب اللحن والتصحيف، ولله دره، فلقد كان مهتماً بضبط العلوم التي يتعرض لها، معنياً بالإبداع فيها، يأبى التقليد والاتباع، ويصمم على الابتكار، ألم يقل إنه يريد أن يقرب نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال، فلا يمكنه

ظلمها؟[٥٤]، فكأنه في اللغة وضبط قوانيها ومعانيها ومخارج حروفها وإعرابها يريد أن يصنع قانوناً لغوياً يمكّن غير العربي من العربية كي تصبح على لسانه أقرب إلى السليقة – رحمه الله رحمة واسعة. هذا وقد تضمن كتابنا "المصطلح النحوي" وقفة متأنية مع الخليل وسيبويه وجهودهما في صناعة المصطلح النحوي، وهي جهود ضخمة لا أحب إثقال هذه الجزئية بها– بالرغم من أهميتها–، والله اسأل أن يرحم الخليل وينفع بعلمه، ويهدينا إلى سواء السبيل.

الحواشي:

(١) انظر: بغية الوعاة، ج١، ص٥٥٩.

(٢) المحكم في نقط المصاحف، الداني، ص٧.

(٣) المصدر السابق، ص٩.

(٤) انظر: مثلاً قول الداني، ص١٤٤، ١٤٧، ١٥٢ وغيرها.

(٥) انظر: نزهة الألباء، ص٤٦.

(٦) المصدر السابق، ص٤٨.

(٧) انظر: معجم الأدباء، ج١١، ص٧٣.

(٨) انظر: مقدمة ابن خلدون، ص٥٤٤.

(٩) خزانة الأدب، ج١، ص١٧٩.

(١٠) معجم الأدباء، ج١٦، ص١١٧.

(١١) الكتاب، ج٢، ص٦١.

(١٢) انظر: وفيات الأعيان.

(١٣) انظر: مفاتيح العلوم، ص٣٠.

(١٤) انظر: معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٢٤.

(١٥) انظر: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص٢٧-٢٨.

(١٦) انظر: جمهرة اللغة، ج١، ص١٦-١٧.

(١٧) الكتاب، ج٢، ص٤٠٤- ٥٠٤.

(١٨) جمهرة اللغة، ج١، ص٤٠.

(١٩) انظر: أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة، ص٤٣٧.

(٢٠) انظر: طبقات النحويين واللغويين، ص٤٧.

(٢١) انظر تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص١٣١.

(٢٢) انظر: سيبويه إمام النحاة، ص١٦٦، سيبويه حياته وكتابه، ص٣٠.

(٢٣) انظر: الكتاب، ج١، ص٨٣-٨٤، ثم انظر: الصفحات (٨٦، ٣١١، ٣٤٥).

(٢٤) انظر: المصدر السابق، ص٤٨.

(٢٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٩.

(٢٦) المصدر نفسه، ج١، ص٣.

(٢٧) انظر: الفراء ومنهجه في النحو واللغة، ص٤٣٩.

(٢٨) انظر: ارتشاف الضرب، ج١، ص١١٣، وانظر تفسير الطبري، ج١٦، ص٨٦.

(٢٩) المحتسب، ج١، ص٣٠٤، وانظر: الكتاب، ج١، ص٣٥٠، ثم انظر: نفسه، ج٢، ص٥٧.

(٣٠) معاني القرآن، ج١، ص٤٣٢.

(٣١) انظر: المصدر السابق، ج١، ص٤٣-٧٠.

(٣٢) انظر: نشأة النحو، ص١٢٢، ثم انظر: المدارس النحوية، ص١٦٥.

(٣٣) انظر: المصطلح النحوي، نشأته وتطوره، ص٤٥-٤٦.

(٣٤) انظر: الكتاب، ج١، ص٢٩٥، ٣١٠، ج٢، ص٥٨.

(٣٥) المصدر السابق، ج١، ص٢٢٣، ٣٠٣، ج٢، ص٥٨.

(٣٦) انظر: التطور النحوي، ص٧٧.

(٣٧) انظر: مفاتيح العلوم، ص٣٠، والخصائص، ج٢، ص١٤١.

(٣٨) الكتاب، ج٢، ص١٤١، وانظر: المقتضب، ج٣، ص٤٢.

(٣٩) الكتاب، ج٢، ص٢٦٧.

(٤٠) المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٢.

(٤١) نفسه، ج٢، ص٢٦٤-٢٦٦.

(٤٢) نفسه، ج٢، ص٢٧٠.

(٤٣) نفسه، ج٢، ص ٢٦٧.

(٤٤) انظر: أبرز المعاني، ص٣٣.

(٤٥) انظر مفاتيح العلوم، ص٣٠.

(٤٦) انظر الخصائص: ج٢، ص٣٢٨، وانظر: تهذيب اللغة، ج١١، ص٢٩١(روم)، والإتقان، ج١، ص٩١.

(٤٧) انظر: شرح ابن عقيل، ج١، ص٥٠٢-٥٠٥.

(٤٨) الكتاب، ج٢، ص٢٨١-٢٨٢.

(٤٩) انظر: الكتاب، ج٢، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٥٠) انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٣.

(٥١) الكتاب، ج٢، ص٢٨٣.

(٥٢) انظر: الكتاب، ج٢، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٥٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٨.

(٥٤) انظر: معجم الأدباء، ج١١، ص٣٤٦.

المصادر والمراجع:

١- أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة: الأنصاري، أحمد مكي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢- الاتقان في علوم القرآن: السيوطي، أبو الفضل، عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ/١٨٨٢م.

٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة: تأليف الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت/ لبنان، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٥- تاريخ الأدب العربي: بروكلمان، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٦- التطور النحوي: برجشتراسر، مطبعة السماح، القاهرة، ١٣٤٩هـ/١٩٢٩م.

٧- تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل القرآن): الطبري، أبو جعفر بن يزيد حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، وراجعه: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٨- تهذيب اللغة: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٩- خزانة الأدب: البغدادي، عبد القادر بن عمر، الطبعة الأولى، بيروت، د.ت.

١٠- الخصائص: ابن جني، عثمان، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية، بيروت سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

١١- سيبويه، حياته وكتابه: بقلم الدكتور أحمد أحمد بودي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، د.ت

١٢- سيبويه إمام النحاة: ناصف، علي النجدي، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٥٣م.

١٣- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشرة، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

١٤- طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.
١٥- كتاب جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، حققه وقدم له: الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
١٦- الكتاب: لأبي عمرو المقلب سيبويه، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٦هـ.
١٧- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، عثمان، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
١٨- المحكم في نقط المصاحف: لأبي عمرو الواني، تحقيق عزة حسن، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
١٩- المدارس النحوية: ضيف، شوقي، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٢٠- معجم الأدباء: لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة (سلسلة الموسوعات العربية)، د.ت.
٢١- المعجم العربي بين الماضي والحاضر: للدكتور عدنان الخطيب، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٢- مفاتيح العلوم: للإمام الأديب اللغوي الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن يوسف الخوارزمي، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٣- المقتضب: المبرد، محمد بن يزيد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
٢٤- المقدمة: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الطبعة الثالثة، بولاق، ١٣٢٠هـ/١٩٠٠م.
٢٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لأبي البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
٢٦- نشأة النحو: الطنطاوي، محمد، تعليق عبد العظيم الشناوي، ومحمد عبد الرحمن الكردي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.